ضرورة دعم التعليم الإسلامي في الحفاظ على الهوية الثقافية لمسلمي غانا لتعزيز التعايش السلمي والتسامح الديني

الدكتور/ عبد الصمد عبد الله

قسم الدراسات العربية والإسلامية، معهد آسيا، كلية الآداب

جامعة ملبورن – أستراليا.

(abdulsa@unimelb.edu.au)

مقدمة/ملخص

يتطلع هذا البحث في إطاره المحدود – نظراً لطبيعة المساحة المتاحة لبحوث المؤتمرات– إلى إثارة مسائل تتعلق بالهوية الإسلامية لدى مسلمي غانا، ومدى قدرتهم على توجيه هذه الهوية وتثبيتها وحمايتها، لتؤدي دورها وتحدث أثرها الفعال في ضمان المواطنة الفاعلة أخذا وعطاء، والتعايش السلمي وتعزيز التسامح الديني بين المسلمين وغيرهم. الأمر الذي يجعل التعليم في مقدمة عوامل التوجيه والتثبيت والحماية للهوية بله أفضل الأدوات للقيام بهذا الثالوث الذي لا تستغني عنه أمة من الأمم أو فئة من الفئات في الحفاظ على هويتها وضمان فاعليتها وحيوتها في حياة كل فرد من أفرادها، مما ينتج عنه توحيد غاياتها وتفاعل جهودها وتكاتفها في مسيرتها نحو تحقيق أهدافها العمرانية المرسومة وممارسة قيمها الروحية في ظل التواد والتراحم والتعاون والإيثار. وكذا في تعاملها وتعاونها على أساس من التسامح والرحمة والبر مع من تتعايش معهم أو تتعامل معهم أو تتشارك معهم في الوطن والمواطنة من غير المسلمين.

ولكون التعليم من أهم الوسائل المحافظة على الهوية توجيها وتثبيتا وحماية، فإن الباحث سيحاول تقويم الأوضاع التعليمية الراهنة لمسلمي غانا لمعرفة مدى قدرتها على تثبيت هويتهم الثقافية وتوجيهها والحفاظ عليها، وأسباب هذه القدرة، أو معرفة مدى عجزها عن ذلك، وأسباب هذا العجز. علماً بأنّ المحافظة الحقيقية على الهوية الثقافية الإسلامية تعني في نظر الباحث تخريج الإنسان المسلم الخليفة الفاعل العامر للأرض والناشر للخير والرحمة والسعادة لكل البشر في إطار من الأمر بالمعروف وإتيانه والنهي عن المنكر والانتهاء عنه في ظل الإيمان بالله الواحد الأحد، ليستحق بذلك البطاقة الشخصية التي تسمه بالخيرية المطلقة مصداقاً لقوله تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: ١١٠)

ولتقويم الأوضاع التعليمية لمسلمي غانا، في ظل تثبيت الهوية والحفاظ عليها وتوجيهها، فإن هذا البحث يطرح أسئلة يتطلع إلى الإجابة عنها من خلال محصلة التعليم الذي يحظى به المسلمون في غانا عموما. سواء في ذلك التعليم العام منه والخاص الذي نعني به هنا ما يسمى بالتعليم الإسلامي. وفي هذا التقويم نطرح الأسئلة الآتية:

ما مدى وعي مسلمي غانا بهويتهم الثقافية؟ إلى أي مدى حقق التعليم الذي حظي به المسلمون في الماضي والذي يحظون به في الحاضر هويتهم وذاتيتهم الفاعلة في المجتمع الغاني وحافظ عليهما؟ كيف يعزز التعليم الإسلامي التعايش السلمي والتسامح الديني؟ ما هو البديل الأنسب لتحقيق هوية مسلمي غانا الثقافية الإسلامية وذاتيتهم الفاعلة في المجتمع الغاني مع الحفاظ عليهما وعيا وتوجيهاً وتثبيتاً وحمايةً ومحافظة، لتؤدي مهمتها في تثمير التنمية والرخاء والتعايش السلمي والتسامح الديني؟ هل تتعارض الهوية الثقافية الدينية لمسلمي غانا مع الهوية الغانية التي تجمع الغانيين بمختلف مشاربهم الإثنية تحت مظلة واحدة هي المواطنة بجميع متطلباتها ولوازمها المدنية؟

كلمات مفتاحية: التعليم الإسلامي، الهوية، التسامح الديني، التنمية

مفهوم الهوية

"... يشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو ، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتمييزه عن غيره ، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري ، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن ، بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها"[1]

إن الحديث عن المحافظة على الهوية الإسلامية يستلزم معرفة هذه الهوية وإدراك أبعادها الواسعة وتجلياتها العملية المختلفة. وعليه سنذكر بإيجاز قسمات هذه الهوية الإسلامية أو مقوماتها للوصول إلى معرفة مدى وعي مسلمي غانا بهويتهم الثقافية الإسلامية.

الإسلام والهوية

إنّ الإسلام هو هوية كل مسلم والإسلام هو الاستسلام لله تعالى في كل ما يأتيه المسلم ويدع. وبتعبير آخر، إن المسلم هو ذلك الشخص الذي يحكم الإسلام حياته فلا يتحرك إلا في إطاره وقيمه ومبادئه وتصوراته في الحياة

[1] عباس الجراري، مكونات الهوية الثقافية المغربية، بحث ضمن كتاب :الهوية الثقافية للمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، ط 1988، ص22.

والأحياء وفي الكون والإنسان قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ (الأنعام: ١٦٢)

وهذه الهوية لها مقومات عدة أهمها ما يلي:

1 – العقيدة 2–الشعائر والعب ادات3–الأفكار والمفاهيم 4–الأخلاق والفضائل 5–المشاعر والعواطف 6–القيم الإنسانية العليا 7–الآداب والتقاليد.

وبعد ذكر قسمات الهوية الإسلامية أو مقوماتها بحسب اعتقاد الباحث، فإلى أي مدى تحققت هذه الهوية لدى مسلمي غانا بعيدة عن التشويه والازدواجية؟

لا شكّ أن مسلمي غانا على قدر كبير من الوعي والاتصاف بمظاهر الهوية الإسلامية، وخاصة تلك السمات الظاهرية التي تؤكد على تمسكهم بهويتهم الإسلامية وخاصة في المناسبات الإسلامية المهمة كالأعياد ومراسم الزواج والولادة والجنازة، وكذلك إقامة الصلوات في المساجد وارتفاع أصوات الأذان في المساجد. ومن أهم معالم وعيهم بهويتهم الإسلامية تمسكهم في الماضي والحاضر بضرورة تعليم أولادهم تعليما إسلاميا يؤكد على هويتهم ويحافظ عليها. غير أننا إذا دققنا النظر في شؤون مسلمي غانا حالياً فإننا نجد أن مظاهر هذه الهوية الفكرية والثقافية والاجتماعية قد بدأت تدب إليها عوامل الهدم والتشويه والاختلال نتيجة عوامل داخلية وخارجية. ومن أهم هذه العوامل العامل التربوي الذي ترتكز عليه عملية توجيه الهوية وتثبيتها وحمايتها أكثر مما ترتكز على غيره من العوامل. فيا ترى إلى أي مدى حقق التعليم الذي حظي به المسلمون في الماضي والذي يحظون به في الحاضر هويتهم وذاتيتهم الفاعلة في المجتمع الغاني وحافظ عليهما؟

دور التربية والتعليم في الحفاظ على الهوية

إن التربية والتعليم هما الدعامتان الأساسيتان اللتان تعتمد عليهما الشعوب في إثبات هوياتها ودعمها والحفاظ عليها من الزوال والاضمحلال. إذ بالتربية والتعليم يتم غرس العقائد والقيم والمبادئ والتصورات والفلسفات التي تؤمن بها الأمم وتعمل على ترويجها والحفاظ عليها وتنشئة أبنائها عليها، باعتبارها مقومات وجودها وعوامل الواقي لخصوصياتها وثوابتها وصمام أمانها من الهيمنة والذوبان. وعليه فإن أي نظام نهوضها وتقدمها والدرع تربوي أو تعليمي لا بدّ أن يستند إلى مرجعية يحتكم إليها في مساره ويبني إجراءاته التقويمية المستمرة على هذه المرجعية المحكمة مع المراجعة المستمرة للمرجعية نفسها لتطوير المتغيرات لتتواكب مع تحديات المرحلة ومتطلباتها، وإعادة تأكيد الثوابت بخطاب يستجيب لتساؤلات العصر وتحديات التدافع الحضاري الذي لا بد منه لكونه سنة كونية بشرية.[2]

[2]انظر: الحج: ٤٠

ولنعرج الآن على التعليم في غانا بنوعيه العام والخاص المسمى بالإسلامي لنتعرف على مدى قدرتهما على المساهمة في تثبيت الهوية الثقافية للمسلمين والحفاظ عليها وتخريج جيل واعٍ لمسؤوليته الدينية الحضارية، فاعل مؤثر في نهضته القومية، متسامح رحيم في تعامله مع الآخرين مقسط بار بمن لم يعاده من غير المسلمين.

التعليم العام (المدارس الحكومية):

نقصد بالتعليم العام في غانا ذلك النظام التعليمي الذي وضعته الحكومة الغانية لتربية كافة رعاياها ومواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم الإثنية والدينية. وإذا كان النظام التعليمي يقوم على "مجموع المبادئ والقيم الكلية التي توجه العملية التعليمية لتحقق أهدافاً تصبو إليها مؤسسة تعليمية معينة في بيئة معينة وفي عصر معين، فإن هذا التصور للنظام التعليمي يعني قيام هذا النظام على عناصر ثلاثة لا بدّ من مراعاتها في النظام التربوي التعليمي وهذه العناصر هي:

أ. المرجعية التي تعني الفلسفات والقيم والمبادئ العامة التي تقوم عليها العملية التعليمية والتي يستند إليها في صياغة الأهداف التعليمية وتوجيه العملية التعليمية بصورة عامة.

ب. الأهداف التي تعني استبصاراً سابقاً ومقدماً لجملة من النتائج والغايات التي يمكن أن تتحقق في ظل الإمكانات المتاحة وتمثل هذه الأهداف النواة الأساس التي تتحرك فيها العملية التعليمية.

ج. البيئة التي يقصد بها الظروف التي تحيط بالشخصية المستهدفة بالتعليم وبالمجتمع الذي يراد إحداث تغيير فيه، وتؤثر في شخصية المتعلم وفي بيئته كما يؤثر المتعلم هو الآخر في البيئة بعد تعلمه وحيازته جملة من الأدوات والمعارف[3].

وعندما ينظر المرء إلى التعليم العام في غانا، مرجعيته وأهدافه وبيئته، فإن أول ما يظهر للعيان هو عدم وضوح مرجعيته وقربها إلى العلمانية التي تقصي دور الدين عن دائرة محركات الحياة الفاعلة المتقدمة، الأمر الذي يجعل النظام التعليمي الغاني شبيهاً بالتعليم الوافد الذي قدّ على غير مثال البيئة الأفريقية بصفة عامة والبيئة الغانية بصفة خاصة، مما يجعل على أهدافه ضبابية شديدة لا يتسع الحيز الضيق لهذا البحث لمناقشتها. والمهم عندي هنا هو مدى ملاءمة هذا النظام للهوية الثقافية لمسلمي غانا.

إن من نافلة القول تأكيد التناقض الواضح بين المرجعية العلمانية التي يستند إليه التعليم الغاني العام وبين الهوية الثقافية الإسلامية التي ينتمي إليها المسلمون أينما وجدوا في بقاع الأرض، والتي تقوم على المرجعية الدينية القائمة على التوحيد في العقيدة والإيمان بأن الله سبحانه هو خالق الكون ومن فيه ومدبر أمر الخلق جميعاً والمحتكم إليه في كل شؤون الحياة والأحياء. هذا من حيث المرجعية.

[3]انظر: قطب مصطفى سانو، النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا قراءة في البديل الحضاري، كتاب الأمة، العدد 63 المحرم 1419ه السنة الثامنة عشرة صص45-46 نقلا عن الدمرداش، سرحان ومنير، كامل، المناهج المعاصرة.

أما من حيث الأهداف فإذا سلمنا بأن النظام التعليمي العام الموجود الآن في غانا نظام وافد أو يشبه الوافد لعدم ملاءمته للبيئة الأفريقية، فإنه ليس من باب الشطط والمبالغة أن نقول إن أهدافه أيضا لا تختلف عن أهداف النظام الغربي الوافد الذي يقوم على تربية النزعة الفردية من أجل الإنتاج الفردي المادي. وهو هدف يتعارض مع أهداف الإسلام التربوية التي تعني بالفرد من خلال الجماعة وتعطي للفرد أهميته من خلال أهمية الجماعة من غير أن يكون هناك اهتمام بأحدهما على حساب الآخر تحقيقاً لنزعة التوازن والاعتدال والوسطية التي هي أهم سمات الإسلام والمسلمين.[4]

وهذا التناقض البيّن الذي يقوم بين النظام التعليمي العام وبين الهوية الإسلامية للمسلمين قد ظهرت له آثار في نتاج هذا النظام وذلك في أوساط غير المسلمين فضلاً عن المسلمين وقد بدت آثاره السلبية على الشباب الغاني خصوصاً والأفريقي عموماً على مختلف المستويات، منها: المستوى الفكري والديني والأخلاقي والاجتماعي. فوجد شباب مسلمون ومثقفون مسلمون يؤمنون بضرورة فصل الدين عن الدولة، والفصل بين الديني والدنيوي وحصر مجال الدين في دور العبادة مما أحدث خلخلة أدت إلى فقدان التوازن بين الجانب المادي والأدبي بين شباب المسلمين ومثقفيهم، أضف إلى ذلك خلو هذا النظام في مفردات منهجه عن الأمور التي تزيد في معنوية المسلم عن طريق تعريفه بتاريخ الإسلام والمسلمين المجيد الذي من شأنه أن يرفع من معنويات المسلم ويبعثه على الاعتزاز بالنفس والثقة بالذات. بل إن كل ما يمكن أن يتضمنه هذا النظام التعليمي من تاريخ الإسلام والمسلمين إنما هو يصب في التأكيد على السلبيات والانحرافات التي وجدت في بعض تاريخ الإسلام السياسي والتي يستغلها الآخر مشوها لحقائقها، مخرجا لها من سياقها الصحيح، مؤولا لها بطريقة تخدم أغراضه التوسعية وهيمنته الحضارية وتهزيز الثقة بالذات الجمعي في قلوب المسلمين وتكريس الشعور بالانهزامية واليأس عن استعادة الأمجاد وتحقيق الريادة من حديد. على أن هناك تاريخاً حضارياً مشرفا ومجيدا لمسلمي غرب أفريقيا تتجاهل عنه معظم المناهج التعليمية الحكومية، وبالتالي يجهله كثير من أبناء المنطقة كما يجهله كثير من مسلمي المنطقة رغم أنه يمثل نقلة حضارية حاسمة من التاريخ القومي الحضاري للمنطقة كما يمثل مصدر استلهام وإلهام وخلق الدافعية.[5]

أما على الصعيد الاجتماعي فإن هذا النظام التعليمي قد جعل المثل الأعلى للحياة الاجتماعية عند أصحاب هذا التعليم بقصد أو بغير قصد، هو الحياة الاجتماعية الغربية على صعيد العلاقات الاجتماعية. وهي حياة تقوم على الإباحية المطلقة وحب الذات والأنانية[6]. وهي بذلك تتعارض مع الحياة الإسلامية القائمة على الالتزام وروح الجماعة ورابطة الإخاء وحب الخير للجميع وإنكار الذات والعمل على مصلحة المجموع. ولقد تنبأ المسلمون بعيد

4لمزيد من الأفكار حول تربية الفرد في الإسلام انظر: الكيلاني، ماجد عرسان" أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (20) 1996م

5من أمثلة ذلك إنجازات الإمبراطوريات والدول الإسلامية التي قامت في المنطقة قبل وصول المستعمرين الغزاة والمحتلين.

6انظر لمزيد من مضار النظام الوافد إلى أفريقيا من الغرب المستعمر: الدكتور سنو، قطب مصطفى: النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا قراءة في البديل الحضاري، صص 91-103

احتلال المستعمرين المنطقة بما يمكن أن يتمخض عنه نظامهم التعليمي المشبوه من نتائج سلبية وعواقب وخيمة على المسلمين في هويتهم الثقافية الإسلامية إذا اعتنقوا هذا النظام التعليمي وربوا أبناءهم عليه. وكان ذلك عندما كان يشرف على التعليم الغزاة المحتلون من المستعمرين. فرفض المسلمون إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية خوفاً من تغيير هويتهم وتبديل دينهم وولائهم لأمتهم الإسلامية. وفعلاً قد حدث لبعض أبناء المسلمين الذين ربوا بهذا النظام التعليمي الاستعماري ما كان المسلمون يخافون من وقوعه من تغيير الهوية. حتى إن بعضهم قد ارتد عن دينه وتنكر لقومه والله المستعان وعليه التكلان.

في ظل هذه الأوضاع التعليمية التي يصعب معها المحافظة على هوية المسلمين فكر بعض الغيورين من المسلمين في إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلة التعليمية والبديل الأنسب. فاقترح بعضهم إضافة المناهج الحكومية ذات المرجعية العلمانية، إلى حد بعيد، إلى مناهج المدارس الإسلامية التي كانت تدرس العلوم الدينية فقط، ظناً منهم أن ذلك سيحقق التوازن المطلوب الذي يرجى من ورائه إعطاء أبناء المسلمين ما يكفل لهم المشاركة الفاعلة في مجالات الحياة المختلفة في الدولة، وذلك بفعل المناهج الحكومية، وما يضمن بقاء هويتهم الإسلامية والحفاظ عليه، وذلك بفعل المناهج الإسلامية. ومن هنا كانت تجربة المدارس المسماة "المدارس العربية والإنجليزية (Arabic and English School). وقد نجحت بعض هذه المدارس من حيث المحافظة على الهوية الإسلامية إلا أن معظمها – إن لم يكن كلها – لم توفق في إكساب الطلبة المهارات اللازمة لمواصلة دراستهم إلى المراحل العالية في المعاهد العلمية أو الجامعات أو إكساب المهارات اللازمة للمشاركة في وظائف الدولة الإدارية وغيرها.[7] فيا ترى لماذا أخفقت هذه المحاولة في تفعيل أبناء المسلمين اجتماعياً وإدارياً واقتصادياً وسياسياً؟

لا شك أن مجرد التفكير في إيجاد حل مناسب لأوضاع المسلمين الدينية أمر إيجابي وطيب يدل على الوعي بضرورة الحفاظ على هوية المسلمين الثقافية وخصوصيتهم الدينية. وناهيك بما في المحاولة الحقيقية على إيجاد بديل أنسب للمسلمين من دليل على اليقظة والتفطن للأمور التي تهدد هذه الهوية الإسلامية. غير أن البديل المسمى بالمدارس العربية والإنجليزية ما هو إلا عملية تبسيطية أشبه ما تكون بالتلفيق منها بإيجاد حل إسلامي، ذلك أنه كما قلنا إن أي نظام تعليمي يجب أن يقوم على عناصر ثلاثة هي المرجعية والأهداف والبيئة.

ونقل المناهج الحكومية برمتها _وبدون أسلمتها–إلى المدارس الإسلامية لتسير جنباً إلى جنب مع المناهج الدينية يعني في أبسط صوره الجمع بين المتناقضين، وذلك إذا عرفنا أن مرجعية المناهج الحكومية مرجعية علمانية وأهدافها ذات نزعة فردية مادية أنانية. الأمر الذي يتناقض مع المناهج الدينية ذات المرجعية الإسلامية، فكيف يلتقيان ويعملان في تناسق وانسجام جنباً إلى جنب؟ إن هذا العمل يشبه إلى حد بعيد قول الشاعر العربي:

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

[7] قد تحقق مؤخرا بالنسبة للالتحاق بالجامعات شيء من التحسن لدى بضع مدارس في تحقيق نسبة ضئيلة جدا من طلابها المجاميع المطلوبة للالتحاق بالجامعة.

ولعل غياب الوعي الكامل بالتصور الإسلامي التربوي وأهداف الإسلام ومقاصده التربوية أو على الأقل عدم استيعابها لدى أولئك الغيورين من المسلمين الذين قاموا – مشكورين – بإدخال المناهج التربوية الحكومية إلى المدارس الإسلامية وراء هذا الحل التلفيقي التبسيطي. ولو توفر لهم هذا الوعي أو الاستيعاب للفلسفة التربوية الإسلامية –مع تحفظ لاستعمال مصطلح الفلسفة–لقاموا بغربلة هذه المناهج وتعديل مرجعياتها العلمانية بعد المراجعة والتدقيق وفقاً للأهداف التربوية الإسلامية والتصور الإسلامي الرصين مع مراعاة البيئة التعليمية وخصوصياتها. وإذ لم يفعلوا ذلك فقد ظلت هذه المدارس تعج بالمتناقضات وتخرج أنصاف المتعلمين أضف إلى ذلك إمكانية أن يؤدي مثل هذه المناهج المتناقضة إلى إحداث نوع من الازدواجية الفكرية والثقافية لدى طلابها وخاصة إذا عرفنا نوعية الكوادر العلمية التي تدرس هذه المناهج في المدارس المسماة بالعربية والإنجليزية. وكذلك الكوادر العلمية التي تدرس المناهج الدينية في هذه المدارس والتي ينقص معظمها التأهيل التربوي الرصين. وبذا تظل مشكلة تثبيت الهوية الإسلامية وتوجيهها وحمايتها قائمة مع التعليم العام الحكومي والنظام التعليمي الإسلامي الخاص المساند من الحكومة والذي يطلق على مدارسه "المدارس العربية والإنجليزية" علما بأن الحكومة قد تبنت جزئيا بعض هذه المدارس.

والتعليم يعد دعامة رئيسية في تقدم المجتمع ورقيه وتطوره. و لا يمكن له أن يحقق ذلك إلا إذا نبع من واقع المجتمع وتكيف مع تربته وجوه وثقافته وليس إذا كان مستعاراً أو مستورداً أو منقولاً عن تربة أخرى غير ملائمة. فلكل مجتمع فلسفة اجتماعية يؤمن بها ويسير عليها ويعدّ أفراده على ضوئها. وعلماء المجتمع ومفكروه وقادة الرأي فيه هم الذين يترجمون هذه الفلسفة الاجتماعية إلى فلسفة تربوية تقود التعليم ليقود هو الآخر المجتمع إلى الرقي والتقدم. والنظام التعليمي من حيث أهدافه ومناهجه وأنشطته واتجاهاته الخ... انعكاس للنظريات التربوية والآراء والأفكار التي يتبناها ويؤمن بها العلماء والمفكرون وقادة الرأي في المجتمع. وعليه فإن المناهج الحكومية التي تبنتها المدارس الإسلامية على علاتها بحاجة إلى مراجعة يتم من خلالها إعادة الصياغة لينسجم هذا النظام مع الرؤية التربوية الإسلامية، وذلك في عناصره التعليمية أو التربوية من حيث الأهداف والمحتوى إلى غير ذلك من عناصر العملية التعليمية. وهذا أمر ليس بمستحيل بل هو في دائرة الممكنات، إذ إن النظام التعليمي ليس شيئاً جامداً بل لديه إمكانية داخلية قوامها المرونة، كما أن لديه قوة تمكنه من اختيار استجابته من بين عدة استجابات يواجه بها الضغوط الخارجية أو القوى الداخلية الخلاقة. كما أن عملية إعادة الصياغة يجب أن تضمن بقاء الأهداف التربوية والمعرفية العامة التي تبنتها الحكومة من حيث تحقيق النواتج التعليمية والمهارات العامة المطلوب اكتسابها ولكن من خلال الرؤية الإسلامية للكون والحياة والأحياء. وما لم تتم إعادة الصياغة بهذا الشكل فإن أخشى ما أخشاه أن يحدث هذا الأخذ العشوائي تناقضات تصدم نفوس المتعلمين في المدارس الإسلامية، لما ينتج عن هذا المزج المرتجل من تقابل وتباين واضحين بين التصورات والقيم. وستكون النتيجة عندئذ إخفاق مريع على فشل ذريع – والعياذ بالله – وذلك لكون مرجعية تلك المناهج المأخوذة من غير تمحيص مرجعيةً علمانية.

أما التعليم الخاص الإسلامي الذي ساهم ولم يزل يساهم على تأكيد الهوية وتثبيت دعائمها وحمايتها فهو الآخر بحاجة إلى الإصلاح ليستطيع القيام بدوره في ظل الظروف التاريخية التي تمر بها الأمة في عصر العولمة التي يراد فيها ذوبان هويات الأمم في بوتقة هوية الحضارة الغالبة والمسيطرة على العالم، والمهيمنة عليه اقتصادياً وسياسياً وفكرياً وعسكرياً. ففي حين استطاع هذا التعليم أن يحقق ويثبت الهوية الثقافة الإسلامية إلى حد ما، إلا أنه قد عجز عن تحقيق ذاتية المسلمين الفاعلة في المجتمع الغاني وعن تمكينهم من الإعمار والمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية للدولة، حيث يكون للسملين حضور فاعل ومؤثر على جميع الأصعدة والميادين وخاصة في تطوير مرافق الدولة وخططها التنموية حتى يُحترم لهم كلمة ويستجاب لهم دعوة ولا ينظر إليهم على أنهم عالة، فيقضى الأمر في غيابهم ولا يستأذنون وهم شهود. والقليل الموجود من المسلمين الذين لهم مشاركة فعالة من نتاج المدارس الحكومية أو المدارس الخاصة التي تطبق المناهج الحكومية بحذافيرها من غير تعليم الدين. أما عن وضوح الهوية الإسلامية تصورا وقيما ومبادئ لدى هؤلاء القلة الفاعلة، فلك أن تتصور وتتحدث عنه. وعليه فإن التعليم الإسلامي الذي يعزز التعايش السلمي والتسامح الدين لهو ذاك الذي يعزز الهوية الإسلامية ويمكن من المشاركة الفاعلة المؤثرة والموجهة. أي ذلك التعليم الذي يجمع بين الدين والدنيا في توازن وانسجام.

ولنعرج علي بيان قصور التعليم الإسلامي الحالي في غانا عن الجمع الصحيح بين الدين والدنيا وتخريج المسلم الفاعل.

إشكالية تقسيم المواد الدراسية إلى مواد دينية ومواد علمانية

إن طبيعة التعليم الإسلامي الصحيح تكمن في نظرته المتوازنة إلى العلم والمعرفة وقرنه العلم بالعمل والدين بالدنيا، ودعوته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل الإيمان بالواحد الأحد، وتعزيز قيم العدل والرحمة والتسامح والسلام ووحدة البشر، والتقوى والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة. ولا شك أنه إن طبق كما ينبغي أدى إلى إعمار الأرض والتعايش السلمي والتسامح الديني نتيجة جمعه بين الدين والدنيا والروح والمادة والعلم والإيمان في توازن وتناسق وانسجام عجيب يمثل عظمة الرؤية الإسلامية وتفوقه على جميع الرؤى البشرية لكونه أنسب للطبيعة البشرية المتزنة. وللسعي إلى التطبيق السليم لمبادئ التعليم الإسلامي المتوازن لتحقيق أهدافه السامية في تخريج المسلم الخليفة العامر للأرض التقي، والعادل النقي الناشر للخير والرحمة، فلا بد من إصلاح أوضاعه الراهنة ليكون قادرا على تحقيق هذه المعاني وتخريج متعلمين بهذه المواصفات المذكورة.

إن أول خطوة في إصلاح هذا التعليم الإسلامي هو إصلاح مفهومه الأحادي المغزى والمعنى، والذي قصر التعليم الإسلامي على علوم الدين فقط، تاركا الدنيا لأصحاب الدنيا ناسيا أن الإسلام دين ودنيا.[8]

[8]لمعرفة أثر التربية الإسلامية في النهضة العلمية والعقلية انظر: محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط 3، عيسى البابي الحلبي 1987م مصر. ص ص 45.

وقد نتج عن هذه النظرة الأحادية للتعليم الإسلامي أن تخلف المسلمون في غانا وفي كثير من ربوع المنطقة عن الركب الحضاري، كما تخلفوا عن الركب الإداري والاقتصادي والسياسي. اللهم إلا من كان منهم قد أخذ بحظ وافر من ثقافة المستعمر وتخرج على مناهجها التعليمية. وها نحن اليوم وقد ثبت فشل نظام التعليم الاستعماري – لكونه مقدودا على غير مثال أهل المنطقة ومركبا على غير مزاجهم–لا يوجد بوادر جادة وفاعلة في تقديم البديل الإسلامي الذي أثبت نجاحه في المنطقة فيما مضى عندما أحسن المسلمون فهم واقعهم واستوعبوا متطلبات ظروفهم ونظروا إلى التعليم الإسلامي نظرة تتسم بالشمول وتتصف بفهم مقاصد الإسلام الدينية والدنيوية.

في حين ء استطاع النظام التعليمي الإسلامي بصورته الراهنة في غانا إلى حد بعيد تخريج وبناء المسلم الصالح المصلح الذي يفهم دينه ويقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق الدعوة القولية وذلك في مجال العقيدة التي هي الأساس والمرتكز الذي ترتكز عليه الدينونة لله سبحانه وتعالى، فإنه لم يستطع حتى هذه اللحظة – في نظري وقد أكون مخطئاً – أن يبني المسلم الصالح المصلح العامر للأرض المساهم في البناء الحضاري والتعمير المادي. والذي يفقه دينه ويقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفة قولية وعملية معاً، محسنا الفهم لعصره ومتجددا الوعي بمسؤولية الإنسانية وخاصة الأمة الوسط، تحكمه في هذا الفقه وذلك الوعي المتجدد مقاصد الإسلام الكبرى بحيث تمثل دوما عنده المرجعية الأولى في تعامله مع الظروف والأحداث المتجددة والتحديات التي ما فتئت تواجه الأمة الوسط في هويتها وحضارتها. وبالتالي يتبوأ موقعه الفاعل في المتغيرات المحلية والعالمية بحسب استعداداته وقدراته ومواهبه مستشعراً في نفسه مسؤوليته الجسيمة كفرد من أفراد الأمة الوسط تجاه الإنسانية والتي فضلت من قبل الباري جلّ وعز لأنها تسهر على تحقيق السعادة للبشرية في الدارين لقيامها بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدفوعة في ذلك بإيمانها الراسخ بالله سبحانه وتعالى، وكفرد من أفراد مجتمعه الوطني واعيا لحقوق المواطنة وواجباتها محسنا الجمع بين هويته الوطنية المحلية وهويته الإسلامية ذات الصبغة العالمية.

إن التعليم الإسلامي بصورته الراهنة يصعب عليه بناء شخصية مسلمة بهذه المواصفات المتوازنة الشاملة، لأن إعداده للمسلم ناقص وغير متوازن لخلوه في مهمته التربوية من استيعاب النظرة المتكاملة إلى الإسلام على أنه دين ودنيا. تلك النظرة التي تستدعي إعداد الإنسان المسلم إعداداً فكرياً ونفسياً ووظيفياً مراعى في ذلك استعداداته وقدراته وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه، مع مرونة تنفتح وتتفتح على تجارب الآخرين –ما لم تتعارض مع أصول الإسلام – وتراعي ظروف التطور في الزمان والمكان. وقد اهتم القرآن كثيرا بتطوير جوانب الإنسان الروحية والمادية وتنميتهما[9] فالإسلام الذي أدرك طبيعة الإنسان المكونة من المادة والروح يقرر ضرورة تنمية جميع جوانب شخصيته المادية والروحية. ويتحدث القرآن كثيرا عن التمكين والرفاهية نتيجة التزام شرع الله، كل أولئك للتأكيد على تنمية الجانب المادي للإنسان بما سخره الله له من إمكانات لتطوير ذلك بنفسه عن طريق ما وهبه الله من

[9]انظر الآيات، النحل: ٩٧ ونوح: ١٠ -١٢

استعدادات بعد إرادة تنمية جانبه الروحي بفرض الشعائر التعبدية.[10] وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بتعليم الإنسان على المستوى العقائدي الديني عن طريق الأنبياء والرسل ملزماً إياه الاعتماد الكلي على تعاليم السماء في هذا المضمار، بينما نجد أنه تركه على المستوى الطبيعي ليلتمس طريقه بجهده الخاص مستعيناً بالله وملتزماً بشرعه ليبتكر ويكشف ويطور معتمداً بعد الله على الطاقات المعرفية الكامنة فيه بتزويد من الله والتي تتمثل في وسائل المعرفة التي زود بها وهي الحواس والعقل[11]. وعليه فإن إهمال العلوم غير الدينية إهمال وتعطيل لطاقات الإنسان الخلاقة وهو ما لم يشأ الله له. ولو أراد الله ذلك للإنسان لكشف له قوانين الطبيعة وأسرارها كما كشف له عن طريق رسله قوانين العقيدة والأخلاق لأن ذلك مما لا يتسع لعقله الوصول إلى حقيقته من تلقاء نفسه وبدون تعليم من الله. أما في مجال الطبيعة والأشياء فلم يشأ الله سبحانه أن يكشف للإنسان عن قوانينها لأن هذا إهمال لطاقات الإنسان الخلاقة وقدرتها على الفعل والكشف والابتكار، ولو حدث أن وجد الإنسان نفسه فجأة أمام النواميس الطبيعية على حقيقتها لألغيت – إذن وبشكل محتم – جلّ قدرته ومحاولاته الإبداعية ولأسلم نفسه لكسل فكري واتكالية لم يرد الله للإنسان أن يقع في أسارها. أما العقيدة والمنهج والقيم الخلقية فهل كان من المنطق أن تظل غامضة وأن يسعى الإنسان من نفسه للكشف عنها؟ إن هذه القيم وتلك العقيدة أو ذلك المنهج ما داما يرتبطان أساسا بالعالم الأوسع ويمتدان إلى ما وراء الحس الظاهر للعيان. ما داما ينأيان دائماً عن رؤية الإنسان المباشرة وحركته النسبية وحريته المحدودة ونسبيته الحسية، فليس من السهل عليه إذن أن يترك وحده للسعي وراء أهداف لم يتهيأ للكشف عنها.[12]

ومما سبق ندرك أن المسلم يستمد قيمه ومبادئه وتصوراته الكونية من وحي الخالق المدبر الرازق ويعمل عقله ووجدانه في تنظيم حياته وممارسة فعله الحضاري محكوما بتعليمات السماء وتوجيهاتها وبالتالي فإن نظرته إلى العلم والمعرفة والكون والحياة نابعة من مشكاة الوحي. وبذلك يكون الوحي لدى المسلم المصدر الأساس للمعرفة وهو أيضا الحاكم على مصادر المعرفة الأخرى. وهو كذلك صمام أمان وبوصلة نجاة للمسلم في تجواله لاكتشاف أسرار الكون والحياة وفي سياحاته الفكرية الإبداعية وإعماره للأرض استجابة لنداء السماء وأداء لواجباته الدينية والدنيوية متلازمتين متوازيتين متواكبتين كركبتي البعير. ولتحقيق ذلك بحسب مقاصد الشرع، فإنه لا من إعادة النظر في نظام التعليم الإسلامي في غانا ومراجعته مفهوما وممارسة لربطه بالرسالة الحضارية التي أنيط بها المسلم الخليفة المنتمي إلى خير أمة أخرجت للناس لإسعاد البشرية وإنقاذها من الدمار بنشر الحق والعدل وتعزيز الحرية والسلام بتحرير العقل الإنساني. وهذا يستدعي ضرورة إزالة الثنائية المزعومة بين المواد الإسلامية والمواد العلمانية والتي جعلت بينهما حجرا محجورا أضر كثيرا بأبناء المسلمين في النهوض العلمي والشهود الحضاري، وإن كانت هناك مبررات أوقعت بعض المسلمين، عن غفلة، في هذا الاعتقاد الفاصل بين المعرفتين وذلك بتأثير وطأة المفهوم

[10] انظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم المعاصر، العدد الأول والثاني 1975م

[11] انظر: النحل: ٧٨

[12]: التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم المعاصر، العدد الأول والثاني 1975م ص 36 انظر، عماد الدين خليل

الغربي للمعرفة وإبعاده الوحي عن دائرتها إيغالا في النزعة المادية. و إعادة النظر والمراجعة المطلوبة بحاجة إلى جهود مضنية يقوم بها فريق من العلماء والتربويون مدعومين ماديا ومعنويا، منطلقين في مهمتهم الشاقة من المفهوم الإسلامي الشمولي للمعرفة ومن منطلقاته الحضارية المتوازنة الجامعة بين الدين والدنيا. وبهذه الجهود المضنية المخلصة يمكن تقديم البديل الأنسب لتحقيق هوية مسلمي غانا الثقافية الإسلامية وذاتيتهم الفاعلة في المجتمع الغاني مع الحفاظ عليهما وعيا وتوجيهاً وتثبيتاً وحمايةً ومحافظة، لتؤدي مهمتها في تثمير التنمية والرخاء والتعايش السلمي والتسامح الديني.

شمولية النظرة إلى العلم والمعرفة في الرؤية الإسلامية

إن البديل التعليمي الإسلامي الأنسب والقادر على الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية الفاعلة العامرة والمؤثرة، لهو التعليم الإسلامي الذي يمثل النظرة الشمولية لأهداف التربية الإسلامية الواسعة نطاق المعرفة مترامية أطراف العلم، الجامعة بين الدين والدنيا. فالمعرفة في الإسلام متعددة الآفاق واسعة النطاق ولو كانت في الإسلام محصورة في مجال واحد لا تتعداه لما كان لها الفاعلية المطلوبة لتطوير المجتمع وتغييره، بل هي متعددة الآفاق واسعة النطاق.

وناهيك دليلاً لتعدد آفاق المعرفة في الإسلام قضية الاستخلاف والاستعمار للإنسان من قبل الباري القادر المدبر عز وجل، وقد تكررت هذه القضية أكثر من مرة في القرآن الكريم، مما يدل على أهميتها القصوى في تصميم الهيكل الحضاري للرؤية الإسلامية.[13] وإذا كان الله عز وجل قد استخلف الإنسان على الأرض ليقوم بتعميرها واستثمارها بذكر الله وإذا كان كل ما خلقه الله إنما هو مسخر للإنسان فإن الإنسان لا يمكن أن يقوم بواجب الخلافة إلا بقدر ما يتزود به من العلم والحكمة ومن البصر والخبرة. ومن هنا كان اتجاه القرآن دوماً إلى تزويد الإنسان بما يجعل منه الإنسان القادر على إعمار هذا الكون باسم الله وبما يجعله الصالح لممارسة الحياة في أية مرحلة من المراحل التي تمر فيها هذه الحياة بكلمة الله.[14] على أن اتجاه المعرفة في الإسلام يرنو للتغيير الاجتماعي المتسم بطابع التدرج مع الأخذ بعين الاعتبار ما بين المجتمعات من أوجه اختلاف وصور تباين وآية هذا الاتجاه ما نجده راسخاً في فقهنا الإسلامي أو النظام التشريعي الإسلامي من مبادئ مثل: تغيير الأحكام وفقاً لاختلاف الظروف والأحوال وأعتقد أن هذه الواقعية الإسلامية – ونحترز هنا عن المعاني الفلسفية العالقة بمصطلح الواقعية من الآخر – هي التي حملت الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي على التمذهب بمذهبين في الفتوى، القديم والحديث. وناهيك بما في شريعتنا الغراء من مبدأ رفع الحرج تيسيراً على الناس ومراعاة لاختلاف الظروف والأحوال.[15] وفي هذا الأصل النفيس الذي كاد يغيب في خطابنا الإسلامي اليوم يقول ابن القيم "وهذا فضل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل

[13] انظر الآية: هود: ٦١

[14] انظر: محمد خلف الله، القرآن والثورة الثقافية، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974م ص15

[15] انظر: سعيد إسماعيل علي، اجتماعية المعرفة في التربية الإسلامية ص275 بتصرف

إليه ما يعلم من أن الشريعة الباهرة لا تأتي به. فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكَم والمصالح وهي عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[16]. لله در ابن القيم ورحمه الله رحمة واسعة، إنه قد وضع المعيار الصائب والمكيال الدقيق الذي يمكن من خلاله أن نميز بين ما هو هام وأساسي للمجتمع وما هو غير ذلك من وجهة النظر الإسلامي، وهو كلام يدور في فلك تلك المستويات الثلاثة التي ميز بها فقهاؤنا الأجلاء المصالح الاجتماعية في الإسلام وهي:

1 الضروريات 2 الحاجيات 3 الكماليات.

ويكفي أن نزن نظامنا التعليمي الإسلامي في غانا على المرتبة الأولى والأهم من السلم المذكور وهي الضروريات لنرى ما ينقص هذا التعليم وما لا ينقصه، ولنتيقن من ضرورة توسيع دائرة هذا التعليم. فالضروريات تشمل كافة الأفعال والأشياء التي تتوقف عليها صيانة الأركان الستة للحياة الفردية والاجتماعية الصالحة في نظر الإسلام وهذه الأركان هي: أ –الدين ب–النفس ج –العقل د –النسل هـ –المال و–العرض

أما الحاجيات والتكميليات فإن وزن تعليمنا بميزانهما يثبت بما لا مجال للشك والمراء ضرورة تحسين هذا التعليم ليكون إسلاميا بشكل شمولي وذلك بتوسيع آفاقه ليشمل علوم الدين والدنيا. ويوم يكون التعليم الإسلامي في غانا وفي المنطقة عموما بهذا المفهوم الشمولي الذي يجمع بين الدين والدنيا، ويستهدف إيجاد الإنسان الصالح العابد لله سبحانه وتعالى بمفهوم العبادة الشامل، ويبتغي تحقيق السعادة للملتزمين بهذه العبادة الشاملة في الدنيا والآخرة وللإنسانية جمعاء انطلاقا من رحمانية رسالة الإسلام، يومئذ يعود للمسلمين في غانا وفي المنطقة قاطبة دورهم الفعال والريادي في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية محفوظي الهوية ليتسلموا القيادة من جديد ويقودوا شعوب المنطقة إلى طريق السعادة والصلاح والأمن والرخاء والتعاون البناء والتقدم والازهار، يحدوهم في ذلك الالتزام بمبادئ العدل والبر والتسامح والسلام كما يملي عليهم دينهم الذي يدينون الله به.

وغني عن البيان أن من يخرجه التعليم الإسلامي الحالي في غانا وفي المنطقة عموما، يجد صعوبة بالغة في المشاركة في مختلف مناشط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية، لافتقاده غالبا المهارات اللازمة للمشاركة. الأمر الذي يورثه غالبا نوعا من الشعور بالنقص والاضطهاد وما يترتب على ذلك من نوع شعور بالتظلم. في حين أن المتوقع من مثله ليس فقط المشاركة الفعالة وإنما المشاركة الموجهة لكونه يحمل مشاعل الهداية التي بها ينير الطريق لمن يريد الهداية والسعادة في الدارين. وقد أورثت هذه الحالة نوعا من الشعور بالحرمان والانحسار، الأمر الذي قد يعقب نوعا من الكره والنقم في النفس إزاء الآخرين الذين تتهيأ لهم جميع الفرص وتتفتح لهم جميع الأبواب.

[16] محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ابو عبد الله ، إعلام الموقعين ، دار الكتب العلمية ، 1999م ، ج 3 ص12.

إن مظاهر عجزه عن المشاركة بلغت أحياناً إلى مستوى افتقاد لغة التخاطب الفكري وهي اللغة الرسمية التي أورثناها أو فرضها علينا المستعمر الغاشم المستغل. فهو لا يستطيع قراءة الجرائد اليومية ولا الاستماع إلى الأخبار الرسمية التي تذاع باللغة الرسمية، وبالتالي لا يقدر على مخاطبة النخبة المثقفة ثقافة استعمارية ومناقشتهم. وهي النخبة التي تمتلك زمام القرارات التي تحكم حياة الجميع ولا تحترم أحداً ولا تنصاع له إلا إذا كان يتكلم باللغة التي تفهمها وتتكلم بها وتفتخر وتتعالى بها غرورا وجهلا. ومقصودنا باللغة هنا مفهوم أبعد من حدود الألفاظ والمعاني، إذ يتجاوزها إلى حدود الأفكار والقيم والتصورات، فأنى لهم والحال كذلك أن يناقشوهم ليأتوا على حصونهم من القواعد ويقدموا لهم البديل الإسلامي المنسجم مع طبيعة الإنسان الأفريقي السوي في كثير من جوانب إنسانيته، والذي لا غنى عنه لتحقيق السعادة والصلاح والوئام والرخاء والأمن والسلام لشعوب المنطقة بصفة خاصة وللعالم بصفة عامة لقيامه على العدل والرحمة والسلام. ودعوتنا إلى تعدد آفاق التعليم الإسلامي في غانا لا يعني إطلاقاً إلغاء المعاهد المتخصصة في الدراسات الشرعية بل العكس صحيح، إلا أنها هي الأخرى بحاجة إلى إصلاحات جذرية في المناهج وطرق التدريس لتؤهل خريجيها للقيام بمهمة التوجيه والقيادة بشكل أليق وأنسب للتحديات التي تواجه الإسلام والمسلمين في عصر العولمة التي تحمل في طياتها لهذه الأمة تحديات لم يسبق لها مثيل، وبالتالي تطلب تربية وتأهيلا تعليميا يتناسب مع هذه التحديات الجديدة القديمة ويستجيب لها بنحو يثبت تفوق البدائل الإسلامية لكونا ربانية المصدر.

ويضيق المجال هنا للتطرق إلى بيان طرق الإصلاح والتطوير لهذه المعاهد الإسلامية في غانا للطبيعة الاختصارية التي يجب أن يتصف بها هذا البحث. على أن مناهج هذه المعاهد هي الأخرى لم تسلم من تلك النظرة الأحادية الضيقة للتعليم الإسلامي ولعل الله أن ينسأ في العمر ويتيح فرصة أخرى لتناول هذا الموضوع بالدراسة والتقويم بشكل أوسع.

المنهج التربوي أو التعليم الإسلامي المطلوب

إنّ المنهج التربوي أو التعليم الإسلامي القادر على انتشال الأمة عموماً وشعوب إفريقيا خصوصاً وفي غانا على الأخص من تخلفها الحضاري والقيادي لهو ذلك الذي ينزع إلى عدم التفريق بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ويعتبرهما وحدة غير قابلة للتجزئة لأنه لا غنى عنهما معاً وأنهما متكاملان، وأن الفرق القائم بين المواد الدينية والمواد العلمانية هو فرق كامن في المرجعية التي يستند إليها كل من النظامين التعليميين وليس في طبيعة المادة المدروسة. وعندما تتغير مرجعية التعليم العلماني وتتحول إلى المرجعية الإسلامية فإنها عندئذ تكون إسلامية الطابع والمنزع. وعندما يتم إحداث هذا التوازن المطلوب في التعليم الإسلامي نكون قد وضعنا أقدامنا على طريق تخريج المسلم الخليفة العامر للأرض والناشر للعدل والرحمة والسلام والذي يحمل الخير للبشرية جمعاء بصرف النظر عن خلفياتهم الدينية والعرقية.

على أن مناهج التعليم الإسلامي المطلوب يجب أن تتوفر فيها السمات التالية:

- القدرة على بناء شخصية متكاملة مستعدة للتعامل الإيجابي مع جميع ظروف الحياة وجوانبها المتعددة، ومؤمنة بأن التعليم أو التعلّم عملية مستمرة طوال العمر ليس لها انقطاع أو انتهاء، الأمر الذي يضمن – بتوفيق الله – تجدد الوعي لديها وتجديد قدراتها ومهاراتها المختلفة.
- الاهتمام والتركيز على احتياجات المسلم الروحية والمادية معاً واعتبارهما كلا لا يتجزأ واعتبار الدنيا مزرعة للآخرة.
- غرس العقيدة الصحيحة في نفوس المتعلمين وعقولهم، وتربيتهم على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وعلى الشغف المفرط بطلب العلم واكتساب المعارف والسعي الحثيث نحو الهدف النبيل والذي فيه إسعاد البشرية جمعاء بغض النظر عن جنسهم ودينهم ولونهم.
- التأكيد على ضرورة اقتران العلم بالعمل وأن تحصيل العلم وحده غير كاف وأن فصل العلم عن العمل أمر باطل من شأنه أن يؤثر سلباً على حركة العمران ونشاط السكان بل إنه ليؤدي إلى التخلف العلمي الذي يستتبع التخلف الحضاري، لأن ذلك يؤدي إلى تفويض الأعمال الصالحة إلى ذوي الجهل والغباوة، إذ يتوجب والحالة هذه أن يسند إصلاح المجتمع إليهم لتخلي العلماء عن ذلك.
- تنمية قدرات المتعلمين العقلية والتفكيرية وتشجيعهم على إعمال العقل ونبذ التقليد الأعمى والاتباعية الساذجة، وتزويدهم بمهارات التحليل والتعليل لتوظيف هذه المهارات في حياتهم العملية.
- التأكيد على مبدأ السعادة الأبدية والشعور بالأمن عن طريق الإيمان بالله وتوحيده ووحدة العلوم والبشر ووحدة الآمال.
- المساعدة على التخلق بأخلاق علماء المسلمين، والتي منها خشية الله وطلب العلم في جميع مجالات المعرفة من المهد إلى اللحد مع الإيمان بمحدودية القدرة البشرية ومطلقية علم الله وقدرته، والسعي الحثيث إلى الاستزادة من العلم والمعرفة لتوسيع الآفاق المعرفية.
- التربية على الإخلاص في القول والعمل مع غرس قيم الحب والتفاني والتضحية والرحمة والإحسان والمودة والإخاء والصدق والأمانة والتقوى والإطاعة لله سبحانه وتعالى.
- التربية على حب المجتمع وخدمته والمساهمة في تلبية احتياجات المجتمع المادية، وحسن بنائه على القيم الأخلاقية الفاضلة وتوفير الأمن والأمان والعزة والمنعة له.
- القدرة على توفير محتوى منهجي يساعد المتعلمين على اكتشاف مواهبهم وقدراتهم الخاصة واستغلالها في تحقيق ذواتهم.
- القدرة على مساعدة المتعلمين في تنمية قدراتهم الإبداعية عن طريق تشجيع حرية التفكير والتحليل والمناقشة والمناظرة في جو مفعم بالحب والاحترام وحرية الرأي.
- غرس الثقة بالذات والاعتزاز بالنفس والافتخار بالانتماء وتوظيف التاريخ في هذا الصدد.

- توفير التدريب الفني والمهني والوظيفي كوحدة أساسية في مفردات المنهج مع التأكيد على قيمة العمل ودور العمال في بناء المجتمع، مع تقديم عناية خاصة للتدريب المهني أو التربية المهنية بطريقة تساعد المتعلمين على اكتشاف قدراتهم المهنية ومهاراتهم الصناعية، الأمر الذي يعينهم على اختيار أعمالهم في المستقبل.

وغني عن البيان أن منهجا يتسم بهذه المواصفات يتطلب مطبقين ومنفذين يتسمون بمواصفات عالية الجودة وقدرات بالغة التمكن، ومن هنا يتحتم التأكيد على أهمية إيجاد المعلمين الجيدين المتميزين القادرين على حسن استيعاب المنهج وصواب تطبيقه في العملية التعليمية. ولا شك أن بناء نظام تعليمي بالمواصفات المذكورة سلفا بأمس الحاجة إلى دعم مالي ولوجستي وإرادة سياسية. يساعد كل ذلك على توفير البيئة التعليمية المناسبة والتي تشمل المدرسين الأكفاء والمناهج الرصينة والكتب الدراسية الملائمة والمرافق التربوية اللازمة. الأمر الذي يجعل المدارس الإسلامية مدارس أنموذجية منافسة لأرقى المدارس الخاصة والعامة التي تضمن لطلابها الحصول على أكثر الكراسي الدراسية في الجامعات الغانية. وعندما يتم توفير بيئات تعلمية عالية الجودة التعلمية في علوم الدين والدنيا وبالمواصفات الآنفة الذكر، فإنه يصعب على المنظمات المتطرفة ترويج خطابهم الديني المتطرف على الشباب المسلم الغاني الذي تربى في مثل هذه المدارس الإسلامية التي لم تربه على الوسطية والوعي الإسلامي الصحيح المعتدل فحسب، وإنما أعدته إعدادا تنافسيا يسهل عليه المنافسة الشريفة والمتفوقة مع نظرائه ممن تخرجوا من المدارس غير الإسلامية من إخوانه المسلمين وإخوانه في الوطن والقومية نظرا لتعدد آفاقه وثراء خياله وسعة تفكيره وقوة إبداعه وسعة علمه بفضل علوم الدين التي يتميز بها. وبمثل هذا التعليم الإسلامي لن يشعر الشاب المسلم بشيء من النقص أو التظلم بتضييق الفرص أو تقليلها وسد الأبواب أمامه، الشعور الذي قد يُستغل لدى بعض ضعاف النفوس وقليلي العلم بدينهم من بعض المغرضين المستغلين للدين لتحقيق مآربهم وتطبيق أجنداتهم.

وغني عن البيان أن نظاما تعليميا إسلاميا متوازنا مرنا وبالمواصفات المذكورة في هذا البحث سيعزز ويثبت ويحافظ على الهوية الإسلامية ويحميها، وسيخرج المسلم الخليفة الفاعل النافع المؤثر إيجابيا، العامر للأرض والحافظ للبيئة الراني إلى سعادة البشرية والساعي إليها وإلى إشاعتها ونشر السلام وتحقيق الوئام بين بني البشر. وسيقوم بكل بهذه المهمة الخيرة متمسكا بدينه معتزا بهويته التي تدعم هويته الوطنية وتحسنها وتكملها لتعطيه تميزا إيجابيا على إخوانه في المواطنة والوطن بحيث يسعدون به ولا يشقون، ويرتقون به ولا يتخلفون، لأن تحقيق هذه المعاني والمقاصد هو الذي يدعو إليه دينه ويحث عليه، وتؤكد عليه هويته الثقافية الدينية التي لا تتعارض ولا تصارع مع في المعاني والمقاصد العامة للهوية الثقافية الغانية الجامعة للغانيين بكل أطيافهم والتي تسعى حكومة غانا إلى دعمها وتعزيزها بين مختلف أفراد مواطنيها ومجتمعاتهم. وقد وردت دعائم الهوية الثقافية الغانية على النحو الآتي:

"في وثيقة السياسة الثقافية لجمهورية غانا التي نشرت عام 2004م من قبل اللجنة الوطنية للثقافة والتي وافقت عليها حكومة غانا، تم تعيين ثلاثة أهداف رئيسة لتعزيز الهوية الثقافية الغانية وهي على النحو التالي:

أولا: توثيق وتعزيز القيم الثقافية التقليدية لغانا مثل تلك المنصوص عليها في مفاهيم كرامة الإنسان، والمواقف من الطبيعة والبيئة والقانون والنظام، والصدق، والصدق والوحدة والسلام والاعتماد على الذات وكرامة العمل والأسرة والمجتمع والتضامن الوطني.

ثانيا، ضمان نمو وتطوير مؤسساتنا الثقافية وجعلها ذات صلة بالإنسان وتطوير الحكم الديمقراطي والاندماج الوطني.

ثالثا: تعزيز الحياة الثقافية الغانية وتطوير البرامج الثقافية لتساهم في برامج الدولة في التنمية البشرية والتقدم المادي من خلال الحفاظ على التراث والمحافظة عليها وتعزيز واستخدام الفنون التقليدية والحديثة والحرف اليدوية لخلق الثروة وتخفيف حدة الفقر".[17]

وهكذا نجد أنه لا تتعارض الهوية الثقافية الدينية لمسلمي غانا مع الهوية الغانية التي تجمع الغانيين بمختلف مشاربهم الإثنية والدينية في سلة واحدة، وهي المواطنة بجميع متطلباتها ولوازمها المدنية، وإن خلت الهوية الثقافية الغانية من كثير من أسس ودعائم ومقومات الهوية الثقافية الإسلامية المميزة للمسلم والموجهة له والمؤثرة إيجابا على أدائه وعطائه وتعامله. وهي زيادات لا تمثل صراعا مع الهوية الثقافية الغانية أو إقصاء لها، وإنما تمثل إكمالا وإثراء لها وتعزيزا.

الخاتمة

لقد أثبت البحث أن التعليم من أهم الوسائل المحافظة على الهوية توجيها وتثبيتا وحماية، وقوم الأوضاع التعليمية الراهنة لمسلمي غانا مثبتا ضعف قدرتها على تثبيت هويتهم الثقافية وتوجيهها والحفاظ عليها، ومظهرا أسباب ضعف هذه القدرة، و مدى عجز الأوضاع التعليمية الراهنة وأسباب هذا العجز مؤكدا بأنّ المحافظة الحقيقية على الهوية الثقافية الإسلامية تعني تخريج الإنسان المسلم الخليفة الفاعل العامر للأرض والناشر للخير والرحمة والسعادة لكل البشر في إطار من الأمر بالمعروف وإتيانه والنهي عن المنكر والانتهاء عنه يجدوه في كل ذلك الإيمان بالله الواحد الأحد، ليستحق بذلك البطاقة الشخصية التي تسمه بالخيرية المطلقة وهذا ما لا تطيق تحقيقه الأوضاع التعليمية الراهنة. وقد أثبت البحث أن المخرج الذي بهذه المواصفات لا يتوافر تحقيقه من النظام التعليمي الإسلامي الحالي مقترحا البديل التعليمي الإ سلامي الناجع الناجح القادر على تخريج المسلم الخليفة الفاعل العامر للأرض والناشر للخير والرحمة والسعادة لكل البشر معتزا بهويته الإسلامية المكملة لهويته الوطنية والمحسنة لها في ظل من الانسجام والوئام. كما أثبت البحث أن النظام التعليمي الإسلامي المطلوب بحاجة إلى دعم معرفي ومالي وكوادر علمية وإرادة سياسية.

المصادر والمراجع

[17] Ghanaian Culture, National Identity and Development

18/12/2006 http://www.ghanaculture.gov.gh/index1.php?linkid=352 Retrieved: 20/02/17

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني أبو العباس، شيخ الاسلام تقي الدين، (1999م) **كتاب العبودية**، دار الأصالة – الإسماعلية، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد الحلبي، ط1

سانو، قطب مصطفى، (1419هـ-1999م) **النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا قراءة في البديل الحضاري**،كتاب الأمة، العدد 63 المحرم 1419هـ السنة الثامنة عشرة

علي، سعيد إسماعيل، **اجتماعية المعرفة في التربية الإسلامية**، ضمن بحوث مؤتمر "بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة"

عباس الجراري، (1988م) **مكونات الهوية الثقافية المغربية**، بحث ضمن بحوث كتاب الهوية الثقافية للمغرب، كتاب العلم، السلسلة الجديدة، ط1

خليل، عماد الدين، (1975م) **التفسير الإسلامي للتاريخ**، مجلة المسلم المعاصر، العدد الأول والثاني 1975م

الكيلاني، ماجد عرسان، (1996م) **أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (20)

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابو عبد الله، (1999م) إعلام **الموقعين**، دار الكتب العلمية.

خلف الله، محمد، (1974م) **القرآن والثورة الثقافية**، دار الأنجلو المصرية، القاهرة.

عطية، محمد، (1987م) **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، عيسى البابي الحلبي مصر ط 3.

عمارة، محمد، (1433 هـ، _ 2012م) **المفهوم الإسلامي للحرية**، مجلة الأزهر ذو القعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء"11" السنة" 85"

القرضاوي، يوسف، (1413 هـ-1993م) ملامح **المجتمع الإسلامي الذي ننشده**، مكتبة وهبة، القاهرة.

المراجع الأجنبية[1]

[1] Ghanaian Culture, National Identity and Development
http://www.ghanaculture.gov.gh/index1.php?linkid=352 18/12/2006